سلسلة الرسائل (٤٨)
مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٥هـ

منهج والدي الشيخ

مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ الله

في التدريس

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا بعضُ ما يسره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في بيان طريقة والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دروسه لطلابِهِ، وبعض تعاملِهِ معهم أثناء الدرس، استخرجته من كتابي «نبذة مختصرة من نصائح والدي وسيرته العطرة»(١)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أسأل الله تعالى أن يرحمه ويثبتنا بعده حتى نلقاه.

أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٨/ من شهر شعبان ١٤٤٥ مكة- حرسها الله- بطحاء قريش

(١) الطبعة الأخيرة، وإلى الآن لم يُطبع بعد ١٤٤٥

أوَّلًا دروس والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا تنقطع حتى يوم العيد.

وكان يقول: أسعد شيء عندنا يوم العيد طلب العلم.

وذُكِر له-وأنا أسمع-أنَّ هناك درسًا أسبوعيًّا.

فتعجَّب، وقال: أنتم تريدون أن تَشُمُّوا العلم شَمًّا. وضَمَّ أصابعها وشمَّها!

لقد كان من طريقتِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التدريس،-سواء كان فيما يتعلَّقُ بالدروس نفسِها واختيار المهم والأنسب، أو بتعامله مع الطالب أثناء الدرس، أو بآداب حلقات العلم-ما يلي:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجلس على كرسيه مستقبلًا طلابه، مقبلًا على الجميع.

ثم يأمرهم بقراءة أحاديث الدرس، أحيانًا يكون عند أهل البلدان، وأحيانًا يقول: عند أهل المشرق، عند أهل المغرب، عند الجيران، عند الغرباء، عند الآحاد والمثاني- يعني: من لم يكن من البلد إلا واحد أو اثنان-، وأحيانًا يقول: من جاء من سفر فليقرأ، أو يقول: بعيد عهد بالقراءة يقرأ.

وربما قال: عندكم كُلِّكُمْ، أو يحدِّدُ بالعمر ويقول مثلًا: عند أبناء الأربعين أو أبناء الثلاثين، وربما حدَّدَ أصحابَ بلد، فمثلًا: عند أهل صنعاء، عند أهل البيضاء، عند أهل تعز.. عند كذا. ويقرأ الطلاب واقفين، صغارًا وكبارًا.

أما عن قراءة الحديث جماعية؛ فلأنهم كثير يصعب قراءتهم واحدًا واحدًا،

وقد يجعلها أحيانًا على الانفراد.

وأما القراءة عن وقوف؛ فلتدريب الطالب على الجرأة في الخطابة والتعليم والدعوة إلى الله.

وقد كان هناكَ رجلٌ في درس «صحيح مسلم» لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، منحه ربُّه قوة الحافظية، فسردَ أحاديث الأسبوع كلَّها بالأسانيد وهو واقف، وقبل النهاية سقط، فشعر والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّهُ أُصيبَ بعين[1]، فسمعناه يقول: أغلقوا باب المسجد، لا يخرج أحد، ثم توضؤوا عن آخرهم، واغتسل به المُصاب، ولكنه لم تَعُدْ حالتُه جيِّدةً كما كانت.

وهل كانوا يقرؤون الأحاديث بتغنِّي؟

لم يكونوا يقرؤون الأحاديث بتغني القرآن وأحكام التجويد.

وقد كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينكِرُ قراءة الأحاديث بالتغني والتجويد.

---

(١)وصدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا» رواه مسلم (٢١٨٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في«زاد المعاد» (١٥٢/٤): أَبْطَلَتْ طَائِفَةٌ مِمَّنْ قَلَّ نَصِيبُهُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالْعَقْلِ أَمْرَ الْعَيْنِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا ذَلِكَ أَوْهَامٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ، وَمِنْ أَغْلَظِهِمْ حِجَابًا، وَأَكْثَفِهِمْ طِبَاعًا، وَأَبْعَدِهِمْ مَعْرِفَةً عَنِ الْأَرْوَاحِ وَالنُّفُوسِ. وَصِفَاتِهَا وَأَفْعَالِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا، وَعُقَلَاءُ الْأُمَمِ عَلَى اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ وَنِحَلِهِمْ لَا تَدْفَعُ أَمْرَ الْعَيْنِ، وَلَا تُنْكِرُهُ.

ويقول: ما كانُوا يفعلونَه[١].

ثم يبدأ ببعض الأسئلة من الدرس السابق، وربما انتقل إلى أسئلة أخرى؛ ليستفيد الطلاب.

ومذاكرة الدرس السابق مِنْ أَهَمِّ طُرُق ارتساخ الدروس والمعلومات؛ فلهذا كان مِنْ منهج والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التدريس: أنه لا يُلْقي الدرس في اليوم الثاني، حتى يسألَ عن شيءٍ من الدرس السابق، وبعض المسائل، والفوائد، وتسميع الأحاديث غيبًا، ولا يسمح للقادرين على الحفظ بالتساهل.

وقد يأمر مَنْ لم يحفظْ بالخروج إلى صحوة المسجد؛ تأديبًا له، وعونًا له على نفسِه حتى لا يعودَ.

---

(١)وهذا مما اتفق عليه الشيخان: والدي والألباني رَحِمَهُمَا الله، ففي «سلسلة الهدى والنور» (ش٤٩١):

هناك مَن يقرأ أحاديثَ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتجويد، وكذلك الأدعية بالتجويد، ففي كثيرٍ مِن الأحيان يَحْدُث شيءٌ مِنَ الخلْطِ على الناسِ..؟

جوابُ الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني بين قرآن أم حديث؟

لا، هذا أسلوب مُبْتَدَع، فكلامُ اللهِ لا يُشَبَّهُ به كلامٌ آخر إطلاقًا.

السائل:

جواب الشيخ الألباني: حتى في الأدعية كدعاء القنوت؟ لا فرق.

ثم ما بين الحِين والآخر يُذاكِرُ لطلابه المعلومات السابقة، وهذه الطريقة يفرح بها طالب العلم، وتيسِّر له الحفظ من غير كُلْفَةٍ ولا مشقةٍ. وأعني: الطالب الجادَّ في العلم النافع، أما الكسلان المَهين فهو لا يفرح بالمذاكرة، ولا يريد المراجعة(١).

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحيانًا في آخر الدرس يفاجئ الطالب ويسأله كم حديثًا قرأنا؟ أحيانًا يكون حديثًا واحدًا أو حديثين أو أكثر.

وهذا يحفِّز الطالب على التركيز والانتباه.

وكان يجعل يومًا في نهاية الأسبوع لمراجعة دروس الأسبوع، كـ درس «تفسير ابن كثير»، و «صحيح مسلم».

وكان يأمر المجيب أن يجيب قائمًا؛ ليتعود على الجرأة في الخطابة، وقد يدعوه

---

(١)وهذه طريقة تشحذُ الهِمَّة وتُعلِي العزيمة:

إن الدواعي تشدُّ القوى ۞ والقلوب ليست بسواء

وفيها تيسيرٌ على الطالب، وإدخال حُبِّ العلم في قلبِه؛ لأنه يرى سهولَة التحصيل، وأنه ميسَّر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نور البصائر والألباب»(٧٨): ينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم بالإعادة والامتحان، والحث على المذاكرة والمراجعة، وتكرار الدروس الحاضرة والسابقة، فالتعلم بمنزلة الغراس والبذور للزرع، وتعاهده بالمذاكرة والتكرار بمنزلة السقي، وإزالة الأشياء المضرة؛ لينموَ ويزدادَ على الدوام.

فيجيب عبر المكبر؛ حتى يسمع الحاضرون إجابته، ويزول عنه الخجل.

ثم يدخل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في درسه.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرأ الحديث بتمهل.

وقد كان-كما أخبرني-رَحِمَهُ ٱللَّهُ سريع القراءة، ثم رزقه الله التمهل في كلامه، وما كان يعجبه المدرس أو المتكلم الذي يسرع في كلامه، وقد يقول له: أفصِحْ، أَفصِحْ، أو يقول: كلمةً كلمةً.

ثم يتكلم على رجال الإسناد غالبًا فردًا فردًا، وبعض مناقب الرواة وذكر إخوة الراوي إن كان له إخوة، وبيان مراتبهم، ويذكر الأثبات في الشيخ والمضعَّفين فيه، والمختلطين، ويذكر بعض الرواة الذين رووا عنه قبل الاختلاط أو بعده.

وربما ساقه ذلك-أي: الكلام على الرواة-إلى كلمة في الزهد أو الحث على العلم أو الصبر، أو الرحلة في طلب العلم ونشره للأمة والعمل به، أو المحافظة على الوقت وغير ذلك، مما فيه حياة ونعْشٌ للقلوب، وشحذ للهِمَمِ، وتَقْوِيَةٌ للعَزَائِمِ.

فيذكر مثلًا بعض الراحلين إلى عبدالله بن المبارك، وقد قطع الفيافي والقفار، وتحمَّل المشاقَّ وركِبَ الأخطار، يقول عند أن قدم إلى عبدالله بن المبارك؛ ليسمع منه:

خلفت عرسي يوم السير باكية يا ابن المبارك تبكيني برنات
خلفتها سحرا في النوم لم أرها ففي فؤادي منها شبه كيات
أهلي وعرسي وصبياني تركتهمو وجئت نحوك من تلك
أخاف والله قطاع الطريق بها وما أمنت بها من لدغ حيات
مستوفزات بها رقش مشوهة أخاف صولتها في كل حالات

ويذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبيات الزمخشري المعتزلي الضال، وقد كان محبًّا للعلم وجادًّا فيه:

سَهَري لِتَنقيحِ العُلومِ أَلَذُّ لي مِن وَصلِ غانِيَةٍ وَطيبِ عِناقِي
وَتَمايُلي طَرَبًا لِحَلِّ عَويصَةٍ أَشهى وَأَحلَى مِن مُدامَةِ ساقِي
وَصَريرُ أَقلامي عَلى أَوراقِهَا أَحلى مِنَ الدُّوكاة وَالعُشّاق
وَأَلَذُّ مِن نَقرِ الفَتاةِ لِدُفِّهَا نَقري لِأُلقِي الرَّمْلَ عَن أَوراقي
أَأَبيتُ سَهرانَ الدُّجى وَتَبِيتَهُ نَومًا وَتَبغي بَعدَ ذاكَ لِحاقي

فسمعتُ واحدًا من الجالسين يقول: أما أن يكون العلم أحسن من ليلة العُرس فلا.

فقال والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس يختلفُون.

كما أنه كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينثر الدُّرَرَ والنصائح في الدرس، ومن ذلك:

العلم يحتاج إلى أن تحتك الركب على الحصير، قال يحيى ابن أبي كثير لولده

عبدالله: لا يستطاع العلم براحة الجسم[١].

وكان يذكر أثرَ عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قُلْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ يَتَّخِذْ نَعْلَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ.

ثم تراجع عنه؛ لأنه تبيَّن له أنه ضعيف[٢]، وكان من طريقته ألَّا يذكرَ إلَّا حديثًا وأثرًا ثابتًا[٣].

ويقول: العلم يحتاج أن يكون أحبَّ إليك من نفسك وأحبَّ إليك من زوجتك وأحبَّ إليك من ولدك وأحبَّ إليك من مالك.

فذلكم شعبة بن الحجاج سافر؛ من أجل حديث إلى مكة ثم إلى المدينة ثم رجع إلى البصرة.

ثم صار الحديث من طريق شهر بن حوشب وهو ضعيف، فقال: لو صح

---

(١) رواه مسلم (٦١٢) في أحاديثِ المواقيت.

(٢) الأثر رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (٩) من طريق بشر بن حرب، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
وبشر بن حرب الأزدي. ترجمته في «تهذيب الكمال» (٤/ ١١٠) بروايته عن عبد الله بن عمر وآخرين. وهو ضعيف؛ ضعَّفه جمهور أهل الحديث: أحمد، ويَحْيَى بْن مَعِين، وأبو زُرْعَة، والنَّسَائي، وأَبُو حاتم وغيرهم.
وقد تراجع والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الاستدلال بهذا الأثر، وقال في حاشية «المقترح»: ثم ظهر لي أنه ضعيف.

(٣) قال والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «هذه دعوتنا وعقيدتنا»: لَا نَكْتُبُ فِي كِتَابَاتِنَا، ولَا نُلقِي فِي دُرُوسِنَا، وَلَا نَخطبُ إِلَّا بالقُرآن أوْ حَديثٍ صَالحٍ للحُجِّيَّةِ، ونكْرَهُ مَا يَصْدُرُ مِنْ كثيرٍ مِنَ الكُتَّابِ والوَاعِظِيْنَ مِنَ الأَقَاصِيْصِ الباطِلَةِ، ومِنَ الأحاديثِ الضَّعيفَةِ والمَوضُوعَةِ.

الحديث لكان أحبّ إليَّ من أهلي ومالي وولدي والناس أجمعين[١]!

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعداء الإسلام حريصون على شيئين؛ لأجل إفساد الناس:

١-الترف.

٢-الجوع، حيث يرفعون أسعار السلع.

وكان يذكر قصة المحمدين في صبرهم على الرحلة وطلب العلم، وانقطاع النفقة بهم.

وهذا نص قصة المحمدِين: محمد بن جرير الطبري، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني، أنهم رحلوا لطلب العلم فأرملوا، ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضرَّ بهم الجوع، فاجتمعوا ليلةً في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخِيَرَة. قال: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع، وَخَصِيٌّ من قِبَل والي مصر يدق الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن

---

(١) وينظر «الفواكه الجنية» (١٧).

وقد حدّث بهذه القصة والدي مرارًا؛ بناءً على ثبوتها، ثم تراجع، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غارة الفصل» عن هذه القصة (١٠٩): هي عند الخطيب وغيره، ولكنها من طريق نصر بن حماد، وهو كذاب. وقد حَدَّثْنَا بها مرارًا، فنستغفر الله؛ فإن القصة لا تثبت.

دابته، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو ذا! فأخرج صُرَّةً[١] فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو هذا! فأخرج صُرَّةً فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا! فأخرج صُرَّةً فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا يصلي. فلما فرغ دفع إليه الصرة وفيها خمسون دينارًا، ثم قال: إن الأمير كان قائلًا[٢] بالأمس فرأى في المنام خيالًا، قال: إن المحمدين طووا كشحهم جياعًا! فأنفذ إليكم هذه الصرار، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليَّ أُمِدُّكم.

وذكر لنا والدي أن بعض المحدثين رحل في طلب العلم، فكانت تأتيه رسائل، وصلت إليه الرسالة الأولى فوضعها في الدُّرْجِ ولم يفتحها، والثانية.. والثالثة..؛ خشية الانشغال، فلما استفاد ونال من العلم فتح الرسائل، فإذا في إحداها: مات أبوك، وفي الأخرى: مات كذا.

فَعَلَّقَ والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال: لو فتحها لشُغِلَ عن العلم الذي رحل من

---

(١) الصُّرَّة بِالضَّمِّ: خرقَة مربوطة. مقدمة «فتح الباري»(١٤٣).

(٢) من القيلولة. والقصة موجودة في «تاريخ بغداد» ترجمة ابن جرير الطبري.

أجلِه[١].

وكان يذكر لنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصة الحاكم مع بديع الزمان في بيان فضل المحدثين وصبرهم، وهي ما يلي:

قال أبو نَصرٍ الوَائِلِيُّ: لَمَّا وَرد أَبُو الفَضْلِ الهَمَذَانِيُّ نَيْسَابُوْر، تَعَصَّبُوا لَهُ وَلَقَّبُوهُ بَدِيْعَ الزَّمَان، فَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ؛ إِذْ كَانَ يَحْفَظُ المائَة بَيْتٍ إِذَا أُنْشِدَتْ مرَّةً، وَيُنْشِدُهَا مِنْ آخرهَا إِلَى أَولهَا مَقْلُوبَةً، فَأَنْكَرَ عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُم: فُلانٌ الحَافِظُ فِي الحَدِيْثِ، ثُمَّ قَالَ: وَحِفْظُ الحَدِيْثِ مِمَّا يُذكر؟!

فسَمِعَ بِهِ الحَاكِمُ ابنُ البَيِّع، فَوجَّهَ إِلَيْهِ بجُزْءٍ، وَأَجَّل لَهُ جُمعَةً فِي حفظه، فردَّ إِلَيْهِ الجُزء بَعْد الجُمُعَة، وَقَالَ: مَنْ يَحْفَظُ هَذَا؟

مُحَمَّدُ بنُ فُلان، وَجَعْفَرُ بنُ فُلان، عَنْ فُلان؟ أَسَامِي مُخْتَلِفَة وَأَلْفَاظ مُتَبَاينَة؟

فَقَالَ لَهُ الحَاكِم: فَاعرفْ نَفْسَك، وَاعلمْ أَنَّ هَذَا الحِفْظَ أَصعبُ مِمَّا أَنْتَ فِيْهِ[٢].

ثلاثة لا تأمنهم

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهل صوته بتوبيخ الجواسيس الذين يحضرون الحلقة؛ للتجسس،

---

(١) جاء في «تاريخ دمشق»(٧٢/٢٥٩)-ترجمة سليم بن أيوب بن سليم أبي الفتح الرازي الفقيه الشافعي الأديب-: كان سليم ببغداد في حال طلبه العلم ترد عليه كتب من الري، فلا يقرأ شيئًا منها، ولا ينظر فيها، ويجمعها عنده، إلى أن فرغ من تحصيل ما أراد، ثم فتحها فوجد في بعضها: ماتت أمك، وفي بعضها ما يضيق له صدره. فقال: لو كنت قرأتها قطعتني عن تحصيل ما أردت.

(٢) «سير أعلام النبلاء»(١٧/١٧٣)، وذكرها والدي في «الفواكه الجنية» (١٢٥).

ويقول: ثلاثة لا تأمنهم: الخمار والجاسوس والمجنون!

ويقول: الدعوة باطنها كظاهرها ما عساه يجد.

نصائحه المتتالية في التحذير من الحزبية وأهلها

ويكسر رءوس الحزبيين وأذنابهم ويقول: الحزبي ما يستطيع أن يبقى معنا؛ لأن الكلام على رأسه كل حين فما يصبر، فيصرفه الله عنا.

فهذا شأن حلقة دروس والدي أنها مليئة بالتنبيهات والتوجيهات للمدرسين والآباء والأمهات والأزواج والأولاد، والتذكير بسيرة الأنبياء والصالحين،...إلى غير ذلك، توجيهات لها وقع عظيم في القلوب ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾[الذاريات: ٥٥].

حتى إنه مرة قال لي: هل تنصحين طالباتك أثناءَ الدرسِ؟

فقلت له: لا.

فأنكر عليَّ، وقال: ألا تسمعين كيف أنصحُ في دروسي؟

وهذه التوجيهات بحسبها فلكل مقام مقال، ولكل حادثة حديث، أحيانًا في أول الدرس، وأحيانًا في أثنائه، وأحيانًا في آخره.

ثم يدخل في متن الحديث ويشرحه بما ييسره الله شرحًا مختصرًا في مفردات كلمات الحديث والمسائل الفقهية، وذكر الصحيح في المسألة، وربما قلتُ له إذا رجع إلى البيت: زدنا في شرح الحديث! فيدعو لي ويقول: إن شاء الله.

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينكر على المدرسين الذين يكثرون الحواشي، ويقول: المؤلف يستطيع أن يأتي بأضعاف أضعاف الكتاب، لكنه أحبَّ أن يقدِّمَ شيئًا مختصرًا ميسرًا.

ويقول: إنه رأى «التحفة السنية» مع بعض الطلاب، فوجدها مملوءةً بالحواشي بين الأسطر وأطراف الصفحة، فقال للمدرسين: اتقوا الله في إخوانكم.

وكان يعرض البحوث على الطُّلاب في الدرس، فمرةً عرض على أحدهم أن يكتب ردًّا على الزنداني في مسألة، فأبى فألح عليه فأبى. فلما رجع من الدرس تحدثت معه عن ذلك، فقال: يمكن يقول: لعله يحتاج إليه يومًا من الدهر.

وكأنَّ سيرَتَه الآن-أي: هذا الطالب-غير جيدة، اللّٰهم ثبتنا وألهمنا رشدنا!

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقْبَل جميع الاستفسارات التي تتعلق بالدرس، والاعتراضات.

حتى إنه مرةً تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الظاهرية، فسمعنا ولدًا صغيرًا-لعل وليَّهُ لقَّنه- قال للوالد: وأنت ظاهري! فضحك الوالد، وذكر أن الأخذ بالظاهر مريح، لكننا لا نرتضي ظاهريةَ ابن حزم v في الجمود؛ فهي ظاهرية مرفوضة لا نقبلها!

وقد ناقشه طلابُه في بعض المسائل، ومن ذلك: مناقشة مجموعة له في الدرس في مسألة القياس الذي يعد عند الجمهور الرابع من الأدلة الشرعية[1].

---

(١) هل كان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول بالقياس؟

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول عن القياس: الأدلة كتاب وسنة.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى يذاكر طلابه ويعرض عليهم سرد أدلة في بعض المواضيع ما لو جُمِعَ لأفاد في بابه، ويصير رسالة مستقلة، مثل: الجرح والتعديل في القرآن والسنة، والخشوع في الصلاة، وتذاكر مع طلابه جملة كبيرة من الكذابين من الرواة، فما يتركون شاردة ولا واردة إلا وتُذْكر.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر المُلح في درسه والشعر، ويذكر قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ الشِّعْرِ حِكْمَةً»(١).

وفي بعض الليالي يأمر الطلاب بقراءة المحفوظات الشعرية التي أملاها عليهم.

وقد يكون بينه وبين بعض طلابه مساجَلَاتٌ شعرية، فيأتي أحدُ الطرفين مثلًا بأبيات آخرها حرف اللام، والمساجل الثاني يأتي بأبيات أولها نفس الحرف الذي كان في أواخر أبيات الطرف الآخر.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعلم طلابه قولًا وفعلًا، من ذلك:

تعليمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ الطلاب صفة الأذان.

ويجوز للعالم البصير بالفقه أن يقيس، لكن لا يلزم الناس به؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى: ١٠]، ولقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء: ٥٩].

(١) رواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى (٦١٤٥)عن أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تعليمهم صفة وضوء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونبَّه على بعض البدع والأخطاء.

تعليمهم صفة صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقول والفعل في دار الحديث بدماج[١].

صلى والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صلاة الفجر، ثم سمعناه يقول عبْر مكبِّر الصوت: أين فلان؟ فقال الطالب: أنا ذا. أين فلان؟ وجعل يسأل عن عددٍ من الأشخاص.

عملًا بالحديث الذي رواه أبو داود(٥٥٤) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا الصُّبْحَ، فَقَالَ: أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: «إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَيْتُمُوهُمَا، وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ» الحديث.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد حدَّثَنا في الدرس أنه سيعمل بهذه السنة[٢]، ويسأل عن بعضهم؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك.

تفقده طلابه في الدرس

كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتفقد طلابَه في الدرس، ويحرص على إحضار أذهانهم؛ فلهذا يسأل الطالب فجأة عن بعض ما ذكره لهم.

---

(١) وقد طُبِعَ ذلك -ولله الحمد- في مجلد واحد بعنوان: «صفة وضوء وصلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(٢) أخبر الطلاب؛ مؤانسةً لهم، فلا يتفاجؤوا إذا سمعوا كلامه.

وهذا يُحَفِّزُ الطالبَ على الانتباه وعدم شرود ذهنِهِ.

وربما قال للذي شرد ذهنه: سافرتَ سفرًا قريبًا أم بعيدًا؟

وربما وَدَّعه، وقال: أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك!

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعض الطلاب يسافر(١) وهو في الحلقة.

وكان يسأل الطالب عن دفترِهِ إذا لم يَرَهُ معه؛ لأجل تقييد الفوائد فيه.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحيانًا يقول لطلابه: من يقوم ويتكلم بكلمة ولا يلحن فيها، أو ينطق بالحركة في آخر الكلمة، ومرةً قام أحدهم وما التزم بهذا الشرط.

وكان يَسأل عن المعلومات التي مرت: هل عهدهم بها قريب أم بعيد؟ يقول مثلًا: متى عهدنا بهذه المسألة؟ فيقولون: إما أمس، أو البارحة، أو قبل أسبوع...، أو يقول الطالب: ليس لنا بها عهد.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول أحيانًا: عند ذياك المختبئ.

وأحيانًا يقوم في الدرس إلى الطّلاب ينظر المختبئين خلف السواري، بعضهم يكون من الكسالى فيختبئ، وبعضهم هيبةً للوالد.

كما أنه كان يمر على أطراف المسجد؛ ليتفقد الطلاب ويسألهم؛ شفقة الوالد على ولده أن يضيع.

---

(١) أي يشرد ذهنه عن الدرس.

وهذا كُلُّهُ من عِنايتِهِ بطلابِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتفقدِ هِمَمِهِم، وحَثِّهِمْ على التَّزَوُّدِ والاستفادة.

ذِكْرُ الله أثناء الدرس

كنت أحيانًا أسمع والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثناء درسه يذكر الله، ويقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أو يقول: لا إله إلا الله(١).

الإلزام في كلام البشر ليس بلازم

لقد كان من أبغض الأشياء إلى والدي أن يلزمه الطالب بإلزامات.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرة يُلقي درسَه فاستأذن أحدُ الطُّلَّاب فوقف، وقال: يلزمُكَ يا شيخ من هذا أن تقول بتحريم القات! فغضب والدي، وقال: اجلس يا فلان، وسمَّاه.

---

(١) وقد بوَّب لهذه المسألة الرامهرمزي في «المحدث الفاصل».

ومن الآثار:

قَالَ عَبْدُاللَّهِ بن الإمام أحمد: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: لَزِمْتُ هُشَيْمًا أَرْبَعَ-أَوْ خَمْسَ سِنِينَ-مَا سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ؛ هَيْبَةً لَهُ إِلا مَرَّتَيْنِ، مَسْأَلَةٌ فِي الْوَتْرِ، وَهَذَا الَّذِي قُلْتُ لَهُ: مَنْ أَشْعَثُ؟

قَالَ أَبِي: كَانَ هُشَيْمٌ كَثِيرَ التَّسْبِيحِ بَيِّنَ الْحَدِيثِ، يَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ. رواه الخطيب في «تاريخ بغداد»(١٤/ ٩٠) ترجمة هشيم بن بشير. والأثر صحيح.

وقال الخطيب تحت فقرة من «جامعه» (١٠٠٤): مَا يُقَالُ فِي خِلَالِ الْمَجْلِسِ مِنَ الذِّكْرِ إِذَا أَمْسَكَ عَنِ الرِّوَايَةِ فِي خِلَالِ الْمَجْلِسِ؛ لِلِاسْتِرَاحَةِ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى فِي تِلْكَ الْحَالِ، وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ أَكَابِرِ السَّلَفِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ.

ثم التقى به الطالب، واعتذر عما حصلَ منه.

وسمعته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض مجالسه يقول: الإلزام ليس بلازمٍ في كلام البشر، كيف يُلزم بشيءٍ وهو لا يقرُّ به؟!

أثَرُ تأثير خُلُقِ الطالب في قلب والدي

كان هناك زميلان مستفيدان من طلاب والدي، أحدهما: عنده بشاشة وحفاوة.

والآخر: عنده فظاظة وغلظة.

وكان والدي يميل إلى الذي عنده بشاشة وحفاوة.

وكان يسأله في الدرس أكثر من الآخر. فما أحوجنا إلى الأخلاق العالية!

التخَلُّفُ عن الدروس لغير عذر

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض المرات في وقت الدرس يصلي العصر، ثم يخرج هو وبعض طلابه؛ لينظروا المتخلفين عن الدرس المتلاعبين، فيعنِّفهم وربما ضربهم على تخلفهم عن الدرس، وقد يطرد من تكرر منه ذلك.

فما كان يسمح أبدًا بالتخلف عن دروسه العامة إلا لعذر معتبر.

كان أحد الطلاب عنده بحث، وأنا أعرف زوجته، فسأل عنه الوالد في الدرس، فقالوا: عنده بحث يا شيخ. فغضب الوالد وقال: لا بارك الله فيه، ولا في بحثه!

فقالت لي زوجته: إنه أراد أن يسافر؛ لأن الشيخ قال له كذا، ثم هدأ بعد ذلك وبقي[١].

العروس وحضور الدروس

---

(١)مع أنه يعلم شرطَ والدي في قبول الطالب أن يلتزم بحضور الدروس العامة؛ حتى يستفيد، ويُعْلَم أنه طالبُ علم ليس بمتلاعب.

ثم قد ذكروا في آداب الطالب أن يصبر على جفا شيخه إن حصل منه. أخرج ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «آداب الشافعي ومناقبه»(٢٣٩) من طريق الشافعي، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الأَعْمَشِ، وَمَعَهُ آخَرُ لا يُرِيدُ الْحَدِيثَ، فَسَأَلَهُ هَذَا عَنْ حَدِيثٍ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ الأَعْمَشُ، فَسَكَتَ الرَّجُلُ. فَقَالَ الآخَرُ: لَوْ كُنْتُ مِثْلَكَ مَا أَتَيْتُ هَذَا أَبَدًا.

فَقَالَ لَهُ الأَعْمَشُ: هُوَ إِذَنْ أَحْمَقُ مِثْلُكَ أَنْ يَتْرُكَ مَا يَنْفَعُهُ؛ لِسُوءِ خُلُقِي.

وبوب الخطيب لهذه المسألة في «الجامع لأخلاق الراوي»(١/ ٢٢٢): الرِّفْقُ بِالْمُحَدِّثِ، وَاحْتِمَالُهُ عِنْدَ الْغَضَبِ.

وقال والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مراجعة تدريب الراوي» للطالب: اذكر ما تعرفه عن صبر العلماء على جَفَاءِ شُيوخِهِم.

الطالب: الذي أعرفه أن الإمام النسائي كان يصبر على قسْوةٍ من شيخِه الحارث بن مسكين.

الشيخ: ماذا، تذكره؛ من أجل أن يُستفادَ منه؟

الطالب: أنه كان يطرد النسائي من حلقته، فكان يتحمَّلُ، ولا يغضب، ولا ينصرف.

الشيخ: والنسائي يذهب خلف ساريةٍ، بحيث يسمع الحارث ولا يراه الحارث.

الطالب: كذلكَ كَانَ الْأَعْمَشُ لَا يَدَعُ أَحَدًا يَقْعُدُ بِجَنْبِهِ. فَإِنْ قَعَدَ إِنْسَانٌ، قَطَعَ الْحَدِيثَ وَقَامَ. وَكَانَ مَعَنَا رَجُلٌ، يَسْتَثْقِلُهُ. قَالَ: فَجَاءَ، فَجَلَسَ بِجَنْبِهِ، وَظَنَّ أَنَّ الْأَعْمَشَ لَا يَعْلَمُ. وَفَطِنَ الْأَعْمَشُ، فَجَعَلَ يَتَنَخَّمُ، وَيَبْزُقُ عَلَيْهِ، وَالرَّجُلُ سَاكِتٌ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَقْطَعَ الْحَدِيثَ.

الشيخ يوضِّح ويضيف آيتَين: يعني: يُرِيْهِ الأعمش أنَّه ما شعر بأنه عنده فيبزق، وذاكَ يمسحها ويصبرُ عليها.

أيضًا صبر موسى على الخضر، ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾[الكهف].

وأيضًا في قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣﴾[الكهف].

مفرغ من «مراجعة تدريب الراوي» لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لم يكن يتساهل والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع العروس في حضور الدروس إلا أسبوعًا واحدًا، ثم يأخذ معه بالحزم كغيره من الطلاب، وقد كان واحدٌ من طلابه يتخلف عن الدروس لهذا السبب كما أخبرتني قريبته سابقًا، قالت: ثم أنكر عليه الشيخ.

من يتخلَّف عن الدرس بسبب بناء بيته

يوجد رجل كان يبني بيتًا له، فسأل عنه والدي في الدرس، فقيل: لم يحضر.

فذكر قولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن يوشع نبي الله: «لا يتبعني أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا...» (١).

ثم سكت ولم يزد على ذلك؛ إشارة إلى أن البناء يشغل.

من يتخلف عن الدرس بسبب الطباعة

سأل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن طالبٍ من أهل البلاد وقت الدرس، فقيل: يَطبع.

فأنكر ذلك، وقال: يحضر، إيش يجعل الطباعة وقت الدرس؟!

النعاس وقت الدرس

---

(١) رواه البخاري(٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا رأى نعسانًا[١] يقول له: قم، يا أيها النعسان! فيقومُ، ويذهبُ النُّعَاس، ثم يتركه قليلًا ثم يقول له: اجلس.

القراءة في كتابٍ آخر وقت الدرس

كان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشدد على الطالب لو رآه يراجع في كتاب آخر، أو ينشغل بشيء آخر غير الدرس، فكان يمنع من ذلك بقوَّة.

فأحيانًا قد يأتي الطالب وعنده درس بعد درس الوالد، ففي أثناء الدرس أو قبل آخره يطالع في دفتره أو في كتاب، فكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يزجر عن ذلك[٢].

مغالطة الطالب في السؤال أحيانًا

---

(١) نعسان: منصرف؛ لأن مؤنثه تلحقه التاء، نعسانة.

(٢) وقد تكلموا في حكم سماع من ينسخ أو إسماعه.

أما سماع من ينسخ فهو الطالب، يسمع من الشيخ وينسخ من كتاب آخر مثلًا، أو ينسخ درسًا آخر.

وأما إسماعه فهو الشيخ يُقرأ عليه حديثه مثلًا وهو ينسخ محفوظات أخرى أو من كتاب آخر، هذه المسألة مختلَفٌ فيها.

وقد علق والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مراجعة تدريب الراوي» على هذه المسألة، وقال: على كلٍّ المعتبر الفهم، إن كان ينسخُ ويفهمُ فروايتُه صحيحة، وإن كان لا يفهم فالرواية غيرُ صحيحة. اهـ.

فإذا كان يفهم ما يُقرأُ عليه فالسماع صحيح، وإذا كان النسخ يمنع فهم ما يقرأ عليه فليس بصحيح، والأصل عدم الانشغال بشيء آخر ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤].

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحيانًا يغالط في درسه؛ لينظر الطالبَ هل تهتز معلوماته.

وأحيانًا يقول للطالب إذا أجاب: رمية من رامٍ، أو من غير رامٍ؟!

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فاطمة بنت عمران، ما اسم أبيها؟ فالطالب الجديد قد لا يدري.

ويسأل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا ويقول: سعيد بن عفير، ما اسم أبيه؟

فيظن الطالب أنه على الجادة فيقول: عفير، فيعرضه على آخرين فيجاب أنه: سعيد بن كثير بن عفير، وأنه نُسب هنا إلى جده.

ومن مغالطته رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: من هو الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وسمع؟

فيقول الطالب الذي لم ينتبه: لا يدري، والوالد قد ذكره بقوله: الذي يظن بك الظن... الخ.

ويقول: عبدالله بن المحرر، وداود بن المحبَّر: أهما أخوان؟

والذي لا يتأمل في اختلاف اسم الأب يقول: نعم هما أخوان، مع أنه وإن اتفق اسم الأب فقد يكونان من الأسماء المتفقة لفظًا المختلفة ذواتًا[1].

---

(١) وهذا هو المتفق والمفترق. وصورته: أن تتفق الأسماء لفظا وخطًّا وتختلف ذواتًا. مثل: عبد الله بن دينار وعمرو بن دينار. اتفق اسم الأبَوَيْنِ.

ومن مغالطته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنه قد يسأل الطالب عن حديثٍ فيقول: الحديث ضعيف، فيقول والدي: الحديث رواه مسلم. فيُنكر الطالب ويصر على كلامه، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رواه مسلم من المسلمين!

بناء المساجد على القبور سنة، فيُنكر الطالب، ويُصر على أنه ليس بسنة، «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١).

فيقول والدي: هو سنة من سنن اليهود والنصارى.

ومن مغالطته أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الشيخ يسأل عن كونه لا يلزم البحث عن علةٍ للحديث، فقال: لماذا؟

الطالب: لأنه لو أرادوا أن يفتشوا عن كل حديث، يعني: سيتعبون.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النزهة» (١٧٦): ثمَّ الرُّواةُ إِنِ اتفقتْ أَسماؤهم وأَسْماءُ آبائِهِمْ فَصاعِدًا، واختلفتْ أَشْخاصُهُمْ، سواءٌ اتَّفَقَ في ذلك اثنان منهم أو أكثر، وكذلك إذا اتفق اثْنانِ فصاعِدًا في الكُنيةِ والنِّسبةِ فهُو النَّوعُ الذي يُقالُ لهُ: المُتَّفِقُ والمُفْتَرِقُ.

وفائدةُ معرفَتِه: خشية أَنْ يُظَنَّ الشخصانِ شَخْصًا واحِدًا، وقد صَنَّفَ فيهِ الخَطيبُ كتابًا حافلًا، وقد لَخَّصتُه وزدتُ عليه شيئا كثيرًا.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) عن عَائِشَةَ، وَعَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قَالا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

الشيخ: سيتعبون؟! ما هذا جوابًا، أنا بس غالطتك، البحث لا بُدَّ من تعب، تفضَّل.

الشيخ: هل يجوز أن يُحَدِّث بحضرةِ مَنْ هو أولى منه؟

الطالب: يجوز.

الشيخ: يجوز-السؤال فيه مغالَطَةٌ عن عمْدٍ-(١)، يجوز أن يُحَدِّث بحضرةِ مَنْ هو أولى منه، والصحابة كانوا ينكرون بعض المنكرات بحضرةِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ (٢).

ورحم الله والدي وغفر له ربما قال: ما أحسنَ المغالَطَة!

وقد يقول للطالب إذا حادَ عن الجواب أو نحو ذلك: لا تُغَالِطْ ولَا تُغَالَطْ.

ومرةً أجاب أحد الطَّلاب الأقدمين فغلط، فسمعت والدي يقول: ما أكثر الغالطين! والغالط هو هذا الواحد، فقيل له في هذا، فقال: الغلط في حقه كثير.

---

(١) فينبغي أن يكون السؤال، هل الأَولى ألَّا يحدث بحضرة من هو أولى منه؟ كما يُعبِّر أهل الحديث بذلك، ومنهم ابن الصلاح، فقد قال في «علوم الحديث» (٢٣٩): ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُحَدِّثِ أَنْ يُحَدِّثَ بِحَضْرَةِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ بِذَلِكَ.

(٢) مفرغ من «مراجعة تدريب الراوي».

وربما داعب الطالبَ إذا أجاب بعضًا ولم يكمل الإجابة، يقول له: لا بأس، أنت أحسن في هذا من أشعب الطامع! إذ يقول: سمعت عكرمة يقول: سمعت ابن عباس يقول: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: خلتان لا يجتمعان في مؤمن. ثم سكت طويلًا، فقالوا: ما هما؟ قال: نسي عكرمة واحدة، ونسيت الأخرى(١).

ومن أسئلته في الدرس العام:

قد يسأل عن حكم دعاء غير الله وأجاب الطالب بأن دعاء غير الله شرك.

ينكر عليه، ويقول: دعاء غير الله قسمان:

إن كان فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر، وإن كان فيما يقدر عليه المخلوق فهذا جائز.

وذات مرة أَصَرَّ أحدُ الطلاب على الإجابة بأنه شرك من غير تفصيل، فقال: لا بد من التفصيل، وإلا وقعنا في التناقض؛ لأن الإنسان يدعو ولده، ويدعو صاحبه، ينادي المخلوق فيما يقدر عليه وهذا جائز(٢).

---

(١) «ميزان الاعتدال»(١/٢٥٩) ترجمة أشعب بن جبير الطامع.

(٢) فالعبارة على إطلاقها انتقدها والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن أطلق أراد الشرك الأكبر.

وهاهنا كلام للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح ثلاثة الأصول»(٥٦) ما يفيد معنى كلام والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن دعاء غير الله على قسمين، قال: ومن دعا حيًّا بما يقدر عليه، مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، يا فلان اسقني فلا شيء فيه.

ومن أسئلة والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا في الدرس

عائشة بنت عبدالله بن عثمان، من هي؟

هي أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وربما يغلط بعضُهُم.

وكان يقول: عندي سؤال من صاحبه؟

أو عندي سؤال كبير من صاحبه؟

وكان رُبَّما قال: عندي سؤالٌ مثل ذا، ويُشيرُ بيده إلى أنه سُؤالٌ كبير، فيتهيَّبون ويخافون.

ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عندي لكَ سؤال كبير عسى ألَّا أنساه، ثم مضى قليلًا مع بعض طلابه في المذاكرة، ثم رجع وقال: الآن جاءك السؤال يا أخانا، المرسَل مَن أول مَنْ شهر القولَ بضعفه؟

الطالب: أول من شهر المرسل بالضعف، يعني: قال: إنه ضعيف.

الشيخ: إيه، ومن قبلُ كان كثيرٌ من الناس يقبلُه.

الطالب:...

الشيخ: سهل، يا أخي.

طالب آخر: خَوَّفته..

الشيخ يضحك: لا يا... لا تمُد[١].

الطالب: يقول: ما عنده.

الشيخ أحال السؤال: ما عندك؟ عندك يا أخانا.

الطالب: الإمام الشافعي في «الرسالة».

الشيخ: الإمام الشافعي، ما أسهل هذا!

ومن أسئلة والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدرس: هل العلم شُغْلٌ؟

جواب والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلم شغل[٢].

وقد يقول للمسئول: لا تترك شاردة ولا واردة إلا ذكرتَهَا.

وإذا أجاب الطالب يتأكد، ويقول: رميةٌ من رامٍ أو مِنْ غير رامٍ؟

---

(١) يدل أن في الطلاب مَن يرفع يده؛ ليُجيبَ. وهذا مفرغ من «مراجعة تدريب الراوي» لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) قال ابن حزم في «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» (٢١): لَو لم يكن من فَائِدَة الْعلم والاشتغال بِهِ إِلَّا أَنه يقطع المشتغل بِهِ عَن الوساوس المضْنية، ومطارح الآمال الَّتِي لَا تفِيد غير الْهم، وكفاية الأفكار المؤلمة للنَّفس لَكَانَ ذَلِك أعظم دَاع إِلَيْهِ، فَكيف وَله من الْفَضَائِل مَا يطول ذكره؟!

وإذا أجاب بالخطأ يقول له: اجلس، يا فلان، أو يا أخانا.

ومرةً قال لأحد الطلاب: اجلس. فقال: ما أجلس.

فقال له: ما تجلس؟ وضحك وتركه قليلًا، ثم تفاهم معه في تلك الإجابة مرةً أخرى.

وأحيانًا يكون الطالب جالسًا، وإذا أجاب بخطإٍ، يقول له على وجه المزاح: اجلس، يا أخانا.

وإذا أجاب الطالب بالصواب قد يقول له: أجبتَ وأصبتَ.

وإن أجاب بغير الصواب قال له: أجبت وما أصبت.

وربما قال: أجبتَ. ويسكت سكتة لطيفة نظن أنه أجاب بالصواب، ثم يقول: وما أصبتَ.

من أجَاب فله درهم

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحيانًا يسألُ في الدرس، ويقولُ-منبسِطًا مع طُلَّابه-: مَنْ أَجَابَ فله درهم.

قلت لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف الذي يُجيب بالصواب وما يُعطَى؟

فقال: إيش درهم! يأخذه إذا أحبَّ مِنْ عند أخينا المسئول.

الدعاء للطالب

ذكروا من أخلاق المعلم مع تلميذِهِ أن يدعوَ له، وقد كنتُ أسمع كثيرًا والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدعو للطالب، ويقول: جزاكَ الله خيرًا، بارك الله فيك، حتى في نهاية الدرس يدعو لهم بالحفظ، ويقول في كثيرٍ من الأوقات: تفضَّلوا، حفظكم الله، وإذا غلِطَ الطالب يقول له: أصلحكَ الله، أو فهَّمَه فتعجَّل الطالب، يقول له: اصبر، جزاكَ الله خيرًا.

ثناؤه على الطالب وتشجيعه له مع معالجة الغرور

كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له إذا وجد من بعض الطلاب نجابة، أو أجاب إجابة صحيحة يثني عليه، والثناء على الطالب إذا لم يُخْشَ عليه من فتنة العجب والغرور مشروع[(١)].

ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: لله دَرُّك! أو لله أبوك!

يعني: لله أبوك الذي أنجب مثلك، ثم يقول له: لا تغترَّ يا بني، صحيح[(٢)].

---

(١) قال الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه»(٢/٢٧٩): وَإِذَا أَجَابَ الْمُسْئُولُ بِالصَّوَابِ فَعَلَى الْفَقِيهِ أَنْ يُعَرِّفَهُ إِصَابَتَهُ، وَيُهَنِّيهِ بِذَلِكَ؛ لِيَزْدَادَ فِي الْعِلْمِ رَغْبَةً، وَبِهِ مَسَرَّةً.

(٢) لأن المدح قد يكون فتنة على صاحبه، وقد يؤثِّر فيه فيضعف عن مجاهدة الشيطان، نعوذ بالله منه.

وكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحيانًا إذا أعجبته إجابة الطالب، يقول: نِعْمَ الدليل، ونِعْمَ الاستدلال، وَنِعْمَ المستدِل(١).

ومن تشجيع والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لطالبِ العلم: لا تحتقِرْ نفسَكَ، يا طالبَ العلم.

وقال غير مرة لطلابه: أنا أعتبركم الآن زملائي.

وهذا من تواضعِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَرَفْعِ معنوية الطالب.

وطرح والدي سؤالًا على طالب فلم يُجِبْ.

فسمعت والدي يقول: كثَّر الله في الرجال من أمثالِك.

فاستغربناه جدًّا، فسمعت بعضَ من يعترض -يعني: كيف كثَّر الله في الرجال من أمثالك وهو لم يجب؟!- فقال: صحيح، أخونا صاحب سنة.

حافظ القرآن والاستدلال

---

(١) قلت: الدليل: الحجة والبرهان.

الاستدلال: ذِكْر الدليل ونصب البُرهان.

قال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حاشية الروض المربع»(١/٤٦): الاستدلال استفعال، من دل يدل طلب الدليل بالفعل، أي: طلب الحكم بالنظر في الأدلة واستخراجها حالًا، إذا أورد عليه السائل مسألة قال: كذا وكذا.

وقال بعضهم: الاستدلال إقامة الدليل من نص، أو إجماع، أو قياس، أو غيرها.

المستدِل: الذي يذكر الدليل.

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «قواطع الأدلة في الأصول»(١/٣٣): هو الطالب للدليل، ويقع على السائل؛ لأنه يَطلب الدليل من المسؤول، ويقع على المسؤول؛ لأنه يطلب الدليل من الأصول.

سأل والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدرس أحد الطلاب، فتلكأ قليلًا.

فقال له والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنتَ تحفظ القرآن، فتستطيع أن تغرف من الأدلة ما لا يستطيعُ غيرُكُ(١).

وهذا من تشجيعِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لطلابِهِ، البِشارة، والثناء، ورَفْعُ المعنويَّةِ.

وقد قدمَ وفدٌ-إلى دار الحديث بدماج-من المشايخ من طلاب والدي، على رأسِهِم: الشيخ محمد بن عبدالوهاب الوصابي، فكان من نصيحتِهِ لطلبة العلم: تَرْكُ التزكية لإخوانهم ومشايخهم.

وبعد أن انتهى قام والدي وتكلم بعد الحمد والثناء على الله، وعقَّب على كلامه وقال: كيف نترك التزكية لأهل الأهواء، ولا نزكي إخوانَنا؟! وهم يقولون: جاء الشيخ، خرج الشيخ.

أما عن استبدال ألفاظ التبجيل والتزكية عند السلف بـ(دكتور).

فكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتعجَّب من قول: دكتور، بدل ألفاظ التبجيل والتزكية المعهودة عند السلف.

---

(١) قلت: في كلام والدي التشجيع على حفظ القرآن، ولا يعني أنه بمجرد حملِهِ لكتابِ الله صدرًا وسطرًا يمتلك القدرةَ على استحضار سَرْدِ الأدلة، عند الحاجة والنازلة، ولكن إن منحَهُ ربُّه استمرارَ ما حفِظَهُ، ورزقَهُ التوفيق؛ إذِ العلم نورٌ يجعله الله في قلوب من يشاء من عباده.

ومن الأبيات التي أُعْجِب بها والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في استنكار استبدال أهل هذا الزمن ألفاظ السلف-: شيخ، محدث، فقيه، عالم، علَّامة، نحْوي، مقرئ ونحو ذلك-بـ(دكتور)، وعزاها إلى كتابٍ لبكر بن عبدالله أبي زيد رحمهما الله[1]:

استبدلوا لفظ الفقيه بغيره ومن العجيب محدثون دكاترة

والله لو علم الجُدُودُ بفعلنا لتناقلوها في المجالس نادرة

التأنِّي في الإجابة

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحث طلابه أن يتأنوا في الإجابة؛ حتى لا يخطِئُوا، ويقول: الذي يسرع في الإجابة يخطئ، فَفَكِّرْ قبل أن تجيب.

من عتابه رَحِمَهُ ٱللَّهُ للطالب

كان ربما عاتب المجيب بالخطأ ويقول: كيف إذا صرت مؤلفًا محققًا؟!

قال أحد الجريئين منهم: سنرجع إن شاء الله إلى الأصول، ما سنكتب من حفظنا.

إياكَ أن ترجعَ بِخُفَي حُنين

---

(١) كنت نسيت اسمه، ثم بعد البحث وجدت البيتَين في كتاب الشيخ بكر «تغريب الألقاب العلمية»(١٨)، وعزاهما إلى الشيخ أحمد ابن الشيخ عبدالله بن محمد بن حُميد.

وكتاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتعلَّق بألفاظ التزكية التي جاءتنا في هذه الأزمنة الأخيرة، فلْتُطالَع للفائدة.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحفِّز الطالب أن يجتهدَ في طلب العلم؛ حتى يرجعَ إلى بلده وقد استفاد. ويذكر قصة حُنين الذي يُضرَبُ به المَثَل لمن رجَعَ بغير فائدة، وهذا نصُّ القصة:

قال الميداني في «مجمع الأمثال» (١/٢٩٦): قال أبوعبيد: أصلُه -أي: هذا المَثَل- أن حُنَينًا كان إسكافًا[١] من أهل الحِيرة، فساوَمَه أعرابي بخُفَّين، فاختلفا حتى أغْضَبه، فأراد غَيْظَ الأعرابي.

فلما ارتَحَلَ الأعرابي أخذ حنينٌ أحدَ خفيه وطَرَحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر.

فلما مرَّ الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الْخفَّ بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته! ومضى، فلما انتهى إلى الآخر نَدِمَ على تركه الأولَ، وقد كَمنَ له حنينٌ، فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حنينٌ إلى راحلته وما عليها فذهب بها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخُفَّانِ.

---

(١) الإسكاف: كُلُّ صَانِعٍ سِوَى الخَفَّافِ، فَإِنَّهُ الأَسْكَفُ، كأَحْمَد.
وَقَالَ شَمِرٌ: رَجُلٌ إِسْكَافٌ، وأُسْكُوفٌ: لِلْخَفَّافِ. أَو الإِسْكَافُ: النَّجَّارُ.
وَفِي المُحْكَمِ: الإِسْكَافُ، وَكَذَا لُغَاتُهُ الثَّلاثَةُ: الصَّانِعُ أَيًّا كَانَ، وخَصَّ بعضهُمْ بِهِ النَّجَّارَ. كذا في «تاج العروس»(٢٣/٤٥٠).

فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟

فقال: جئتكم بِخُفَّيْ حُنَين.

فذهبتْ مثلًا، يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

الفِطْنَةُ

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحث الطلاب على أن يكونوا فطنين.

وربما قال عن بعض الغافلين من ذوي الأهواء: فلان لا يدري كوعه من بوعه، ثم يسأل الطلاب فمِن غالِطٍ، ومن مصيب:

أين الكوع؟

وأين البوع؟

ويذكر لهم قول الناظم:

فَعَظْمٌ يَلِي الْإِبْهَامَ كُوعٌ وَمَا يَلِي ۞ لِخِنْصِرِهِ الْكُرْسُوعُ وَالرُّسْغُ مَا وَسَطْ

وَعَظْمٌ يَلِي إِبْهَامَ رِجْلٍ مُلَقَّبٌ ۞ بِبُوعٍ فَخُذْ بِالْعِلْمِ وَاحْذَرْ مِنْ الْغَلَطْ(١)

---

(١) [مرجع البيتَين«غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» للسفاريني].

قال ابن منظور في «لسان العرب»(٨/٣١٦): الكُوعُ: طرَفُ الزَّنْدِ الَّذِي يَلِي أَصلَ الإِبْهامِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أَصل الإِبهام إِلى الزَّنْدِ، وَقِيلَ: هُمَا طَرَفَا الزَّنْدَيْنِ في الذراع، وَالْكُوعُ الَّذِي يَلِي الإِبهام، والكاعُ: طرَفُ الزَّنْدِ الَّذِي يَلِي الخِنْصِر، وَهُوَ الكُرْسُوعُ، وَجَمْعُهُمَا أَكْواعٌ.

الطالب يجتهد ولا يُخيِّبْ آمال الناس فيه

ومن كلامِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس يستبشرون بكم فلا تخيبوا ظنهم، يرجع أحدكم إلى بلده ويلتفون حوله وهو عاطل، يسألونه في التفسير، في المصطلح فيقول: أنا ضعيف في هذه المادة، فيأتونه بسؤال آخر في اللغة العربية فيحك لحيته ويتصبب عرقًا؛ ما يعرف.

قد يحتاج الطالب المقصِّر إلى ربْطٍ في سارية من السواري

كان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا وَجَدَ قُصورًا من بعض الطلاب يقول: ما أحوجك أن تُرْبَط إلى ساريةٍ من هذه السواري! يريد سواري المسجد[1].

حاطب ليل

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحذِّرُ طلاب العلم بل وغيرهم من أن يكونوا حُطَّابَ ليلٍ.

---

(١)وهذا يعين الطالب على الحفظ والصبر والمراجعة، وكما ثبت عن عكرمة قال: كان ابن عباس يضع في رجلي الكَبْل ويعلمني القرآن والسنن. رواه الدارمي في «سننه» رقم (٥٧٢)، والأثر صحيح.

وحاطب ليل كما كان يذكر لنا والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو: الذي يخرج يحتطب في الليل يمد حبله، ويجمع الحطب، ثم يحملها وينصرف، وقد يجمع مع الحطب في ظلمة الليل أفعى معه فتلدغه (١).

وهناك كلمة لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حُطَّاب ليل، ذكر عددًا من حطاب ليل، منهم: السيوطي، وعبدالعزيز السَّلمان.

ومن الفرق التي عدَّها في حطاب ليل: جماعة التبليغ (٢).

القليل من يصفو وينبغ من طلبة العلم

نظر والدي إلى طلابه مرة كالتحذير لهم-وكان في حلقته نحو: السبعمائة أو الستمائة-، وقال: أترون أن هذا الجمع يتخرَّجُ كلُّه؟! لعل الذي يصفو منهم عشرة، أو نحو هذا (١).

---

(١) هذا أصل هذا المثل يُضرب به للذي يحمل العلم فوق طاقته، والذي يحمل ما هبَّ وَدَبَّ منَ العلم ولا يتحرى.
أخرج أبو القاسم البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زوائد الجعديات» رقم (١٠١٣) عن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُالْكَرِيمِ الْجَزَرِيُّ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، تَدْرِي مَا حَاطِبُ لَيْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِيهِ.
قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَحْتَطِبُ، فَتَقَعُ يَدُهُ عَلَى أَفْعَى فَتَقْتُلُهُ. هَذَا مَثَلٌ ضَرَبْتُهُ لَكَ لِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ إِذَا حَمَلَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُطِيقُهُ قَتَلَهُ عِلْمُهُ، كَمَا قَتَلَتِ الْأَفْعَى حَاطِبَ لَيْلٍ.
(٢) عَدَّهُمْ في حُطَّاب ليلٍ؛ لعدمِ تحرِّيهم في نقل الأحاديث، يحمل أي حديث، سواء كان صحيحًا أو ضعيفًا أو موضوعًا، هذا يسميه أهل الحديث حاطب ليل.

من آداب حلقات العلم:

-عدم السواك فيها

كان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينكر على الطالب إذا رآه يستاك في حلقة العلم(٢).

---

(١)رحم الله والدي وغفر له يذكِّرُني كلامُه بأثرين:

عن الفريابي محمد بن يوسف قال سفيان الثوري يومًا-وقد اجتمع الناس عليه-فقال لي: يا محمد، ترى هؤلاء ما أكثرهم! ثلث يموتون، وثلث يتركون هذا الذي تسمعونه، ومن الثلث الآخر ما أقل من يُنجب! رواه الخطيب في«الجامع لأخلاق الراوي»(٩٥) بسند صحيح.

قال أبو داود سليمان بن داود الطيالسي: كنت يومًا بباب شعبة، وكان المسجد ملآن، قال: فخرج شعبة فاتكأ عليَّ، وقال: يا سليمان، ترى هؤلاء كلهم يخرجون محدثين؟ قلت: لا. قال: صدقت، ولا خمسة؟ قلت: خمسة؟ قال: نعم، يكتب أحدهم في صغره ثم إذا كبر تركه، ويكتب أحدهم في صغره، ثم إذا كبر يشتغل بالفساد، قال: فجعل يردد عليَّ.

قال أبو داود: ثم نظرت بعد، فما خرج منهم خمسة. رواه الخطيب في «جامعه» (٩٤) بسند صحيح.

فالقليل من يثبت، يكون المكان ملآن، ويكتظُّ بالحاضرين، ولكن القليل منهم من يثبت ويستمر في طلب العلم، هذا يُشغل بمسؤولية، وهذا يُشغل بصوارف، وهذا يُشغل بأمراض، وهذا يَضْعف، وهذا يُفتن بالدنيا، والصوارف لا تحصر، فنسأل الله العافية.

(٢)ذكروا في آداب الطالب أن ينظِّفَ فاه قبل حضور الدرس؛ لقول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاةٍ» رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحلقات العلم في هذا المعنى.

أما استعمال السواك في الحلقة فهذا ليس من الأدب، وهذا قد يَشغل الطالب عن التركيز وكتابة الفوائد.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: يا إخواننا، نشوف كثير من الحاضرين يشتغل بالمساويك.

-الوقار والسكينة

ذات مرة في درس لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأى واحدًا يضحك، فقال له: لا تضحك إلا إذا ضحك الناس.

-حُسْنُ هَيْئَة الطالب وعدم تكشفه

وقد رأى والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جالسًا في حلقتِه وعنده بعض التكشف، كما شعرنا بذلك، فقال له: يا فلان، اجلس جِلسة طالب العلم.

-اجلس جِلسة المتعلمين

ينبغي أن يشعرَ الطالب أنه يحتاج إلى العلم أكثر مما يحتاج إلى الكلام.

كان هناك طالب في صدر مجلس والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دروسه العامة، وكان ذلك الطالب يتكلم وكأنه المعلم، فغضب مرةً والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان الدرسُ في «الصحيح المسند من دلائل النبوة»، وقال له: اجلس جِلْسَة المتعلمين، وإلَّا قم هناك، يعني: في آخر الحلقة.

يا أخي، ما هو هذا من الأدب، استمعوا، ما فيه وقت للاستياك الآن، ثم الذي يستاك تراه أيضًا يخرج رائحة من فمه على من بجانبه يؤذيه. السواك عند القيام للصلاة، عند الوضوء. المرجع: درس «الفتوى الحموية» لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شريط (٣٧).

-حكم التخطي في حلقات العلم

كان والدي أحيانًا يأمر بالتقدم إلى كرسيه والقرب منه لضيفٍ كريمٍ أو مستفيد(١).

---

(١) تخطي الطالب وتقدمه عند الشيخ على حالات:

-أن يعلم من حال الحاضرين إيثار ذلك، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التعليق على مقدمة المجموع» (١٩٤): من الذي أعطى الحاضرين الحق في الإذن له؟ ثم أجاب، وقال: قد يعرفون من حال الشيخ أنه يكرمه.

-إذا كان في قربه من المعلم فائدة ومصلحة، قال ابن عبدالبر في «التمهيد»(١/٣١٦): لَا يَجُوزُ التَّخَطِّي إِلَى الْعَالِمِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلًا يُفِيدُ قُرْبُهُ مِنَ الْعَالِمِ فَائِدَةً وَيُثِيرُ عِلْمًا، فَيَجِبُ حينئذ أن يُفتح له؛ لئلا يُؤْذِيَ أَحَدًا حَتَّى يَصِلَ إِلَى الشَّيْخِ، وَمِنْ شَرْطِ الْعَالِمِ أَنْ يَلِيَهُ مَنْ يَفْهَمُ عَنْهُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليلني منكم أولو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى»، يَعْنِي: فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا؛ لِيَفْهَمُوا عنه، ويؤدوا مَا سَمِعُوا كَمَا سَمِعُوا مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلِ مَعْنًى وَلَا تَصْحِيفٍ.

-في حالة سد فُرَج الحلقة، قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب من قعد حيث انتهى به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها)، ثم أخرج برقم (٦٦) حديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ».

هذا الحديث من فوائده كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/١٥٧):

- اسْتِحْبَابُ التَّحْلِيقِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالْعِلْمِ.
- أَنَّ مَنْ سَبَقَ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا كَانَ أَحَقَّ بِهِ.
- اسْتِحْبَابُ الْأَدَبِ فِي مَجَالِسِ الْعِلْمِ، وَفَضْلُ سَدِّ خَلَلِ الْحَلْقَةِ، كَمَا وَرَدَ التَّرْغِيبُ فِي سَدِّ خَلَلِ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ.
- جَوَازُ التَّخَطِّي؛ لِسَدِّ الْخَلَلِ مَا لَمْ يُؤْذِ، فَإِنْ خُشِيَ اسْتُحِبَّ الْجُلُوسُ حَيْثُ يَنْتَهِي كَمَا فَعَلَ الثَّانِي.

-حث الطالب على القرب من الشيخ

كان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحث المتباعد على القرب، ويقول: اجلس هاهنا يا بني، يعني: بالقرب منه(١).

وكان يفيدنا ويقول عن حديث: «عليك بالجماعةِ فإنَّما يأكُلُ الذِّئبُ القاصِيَةَ» هو حديث ضعيف؛ فيه السائب بن حبيش(٢).

---

(١) وهذا الأدب قد ذكروه في آداب الطالب، وقد قال إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ: قُلْتُ لِأَبِي سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: بِمَ رَاقَكُمُ الزُّهْرِيُّ؟ قَالَ: كَانَ يَأْتِي الْمَجَالِسَ مِنْ صُدُورِهَا، وَلَا يَأْتِيهَا مِنْ خَلْفِهَا. الأثر رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/٣٣٥).

قال القرطبي في «المفهم» (١٢/١٨): القرب من العالم أولى؛ لما يحصل من ذلك من حسن الاستماع، والحفظ. اهـ.

فالقرب من الشيخ أدعى للانتباه، وأقوى في التركيز، فينبغي للطالب أن يبكِّرَ في الحضور؛ ليتسنَّى له القرب من الشيخ.

(٢) الحديث رواه أبو داود (٥٤٧) عن أبي الدرداء بزيادة في أوله.

قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب»: السائبُ بن حُبَيش، بمهملة وموحدة ومعجمة، مصغَّر، الكَلاعي، بفتح الكاف، الحمصي: مقبولٌ.

قال عَبداللَّهِ بْن أَحْمَد بْن حنبل: سَأَلتُ أَبِي عنه، فقلت لَهُ: أثقة هُوَ؟ قال: لا أدري.

وَقَال الدَّارَقُطْنِيُّ: صَالِح الحديث، من أهل الشام، لا أعلم حدث عنه غير زائدة.

ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في «الثقات». اهـ من «تهذيب الكمال»(١٠/١٨٢).

و استنبط منه الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين»(٥/٧٩)، وقال:

فيه دليل على أنه لا ينبغي للمسلمين الافتراق والاختلاف، وأنه واجب عليهم الاجتماع، وأن الشرود عن الجماعة سبب في الهلاك؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبه ذلك بالقاصية من الغنم البعيدة يأكلها الذئب فتهلك، فهكذا الذي

-حديث النهي عن الجلوس وسط الحلقة

عن أبي مجلز، عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ» رواه أبو داود (٤٨٢٦).

كان يذكر لنا في الدرس والدي تضعيفه وأنه منقطع؛ فيه أبو مجلز، وهو: لَاحِقُ بن حُمَيْدٍ، لم يسمع من حذيفة(١).

-عدم التلقين في الدرس وقبوله

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينهى عن التلقين في الحلقة ويضعف الملقِّن والملَقَّن إذا قبل التلقين(٢)؛ فلهذا إذا أجاب الذي قد ضعَّفه الوالد يقول له: هل لك من متابع؛

يشذ عن الجماعة، حتى لو برأي ينفرد به ويظن أن النصوص معه وتدل عليه، فإن الواجب إذا رأى الإنسان في رأي أن النصوص وتدل على خلاف ما يراه الجمهور، فالواجب عليه أن يعيد النظر مرة بعد أخرى..

(١) وضعَّف هذا الحديث الشيخ الألباني في «الضعيفة»(٦٣٨)، وهذا مما اتفق على تضعيفِه هذان الإمامان رحمهما الله تَعَالَى.

وهذه المسألة سُئل عنها الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال: الحمد لله هو حديث لا يصح، هذا أولًا.

ثانيًا: لو كان يصح لكان المقصود منه الجلوس وسط الحلقة؛ لقصد لفت أنظار الناس، كأن يقول بلسان الحال: أنا هنا، أما والحديث لم يصح فالحمد لله. اهـ من «دروس للشيخ محمد ناصر الدين الألباني» الدرس التاسع، كما في الشاملة.

(٢) قلت: وقد ضُعِّفَ بعضُ الرواة بسبب أنه كان يُلَقِّن غيرَه، وكذا مَنْ عُرِف بقبولِ التلقين، من أمثلته:

لأنك ضعيف تصلح في الشواهد والمتابعات.

هل يقال: «وبعد» عند الانتقال إلى أسلوب آخر؟

كنتُ أسمع والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحيانًا في الدرس، إذا أراد أن ينتقل إلى تنبيه، أو إعلامهم بشيءٍ يقول: وبعدُ. ثم يذكر ما أراده [(١)].

سنيد بنون ثم دال مصغرًا ابن داود المصيصي، واسمه حسين، ضُعِّف مع إمامته ومعرفته؛ لكونه كان يلقن حجاج بن محمد شيخه. «تقريب التهذيب».

حجاج بن نصير بضم النون القيسي أبو محمد البصري، ضعيف كان يقبل التلقين. «تقريب التهذيب».

فائدة:

المراد بقبول التلقين: قال العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح الألفية»(١/٣٦٦): أنْ يُلَقَّنَ الشيءَ فيُحدِّثَ بهِ من غيرِ أنْ يَعلمَ أنَّهُ من حديثِهِ.

وقال السخاوي في«فتح المغيث»(١/٣٣٧): هُوَ قَبُولُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ.

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «توضيح الأفكار»(٢/١٥٥): التلقين في اللغة: التفهيم

وفي العرف: إلقاء كلام إلى الغير في الحديث أي: إسنادًا أو متنًا وبادر إلى التحديث بذلك ولو مرة.

وهو: أن يلقن الشيء فيحدث به من غير أن يعلم أنه من حديثه، فلا يُقبل؛ لدلالته على مجازفته وعدم تثبته وسقوط الوثوق بالمتَّصف به. اهـ.

وقيَّدَ بعضُهم قبولَ التلقين المؤثِّر إذا كثُر ذلك منه.

قال المعلِّمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في«التنكيل»(١/٤٨٣): التلقين القادح في الملقِّن هو: أن يوقع الشيخ في الكذب ولا يبين، فإن كان إنما فعل ذلك؛ امتحانًا للشيخ وبيَّن ذلك في المجلس لن يضره.

وأما الشيخ فإن قبل التلقين وكثر ذلك منه فإنه يسقط.

(١) قلت: وهذا يفيدنا أن كلمة «وبعد»، ومثلها «أما بعد»، قد يُؤتَى بها؛ للانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر.

فائدة: معنى الانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر:

ثبِّت عرشك ثم انقش

كانَ يُفيدُنا والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجواز إقامة أكثر من جماعة في مسجدٍ واحد، في حق من جاء وقد انتهت صلاةُ الجماعة؛ لما في «سنن أبي داود» (٥٧٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَبْصَرَ رَجُلًا يُصَلِّي وَحْدَهُ، فَقَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا فَيُصَلِّيَ مَعَهُ.

وناقشَ الوالدَ أحدُ الطلاب بحديث أَبِي مُطِيعٍ -وهو: مُعَاوِيَةُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ

قال ابن القاسم في «حاشية الروض المربع»(١/٤٣): أي: يأتي بها المتكلم إذا كان في كلام وأراد الانتقال إلى غيره، ولا يؤتَى بها في أول الكلام، وأسلوب بالضم، أي: من الطريق أو فنٌّ، جمعه أساليب.

واعلم أن الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينتقد هذا، في «شرح بلوغ المرام»(١/٤٩)، ويقول: لكن هذا فيه نظر، ولكنها كلمة يؤتى بها للانتقال من المقدمة إلى الموضوع، ما هو من أسلوب إلى آخر، لو تغير الأسلوب ما نجيء بـ«أما بعد»، لكن نأتي بها للانتقال من المقدمة إلى الموضوع.

ولكلٍّ اجتهاده، ذكرتُ هذا؛ ليستفادَ، وبالله التوفيق.

فائدة: إعراب «وبعد، أما بعد»:

الواو: نائبة عن «أما»، «بعدُ» ظرف زمان مبني على الضم.

و«أما»: حرف شرط وتفصيل، وهي نائبة عن اسم الشرط وفعل الشرط.

ومعناها: مهما يكُ من شيءٍ، حُذِفَ مهما يكُ من شيء، وأُقيم «أمَّا» مقامه.

قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الألفية»:

أما كمهما يك من شيءٍ وفا ❁ لتلو تلوها وجوبا ألفا

و«بعدُ»: ظرف زمان متعلق بفعل الشرط المحذوف.

مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا، فَمَالَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَجَمَعَ أَهْلَهَ، فَصَلَّى بِهِمْ. أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٦٠١).

فسمعت والدي يقول: ثبِّتْ عرشَكَ ثم انْقُش.

فقال الطالب: أأنت تضعِّفُهُ[١]؟

ينبغي للطالب أن يكون نبيهًا ولا يُوقع معلمه في الحرج

---

(١)وفي كتاب «الإمام الألمعي مقبل بن هادي الوادعي»(٢٠٢) عنوان: لقاءات الشيخ مقبل مع الشيخ الألباني، وفيه إنكار والدي على الشيخ الألباني حيث يقول بالمنع في هذه المسألة. وهذا نص مناقشة والدي:

فكان أول ما تكلم-الشيخ الألباني-على الجماعة الثانية في المسجد-وهو في دار الحديث في المدينة-، والذين حضروا مجموعة لعلهم قدر خمسين واحدًا أو أقل، ما كان قد وُجِدَتِ الرغبة في حضور جلسات أهل العلم، فكان يتكلم معنا عن صلاة الجماعة أنها لا تُعاد جماعة في مسجد قد صُلِّي فيه، أنا أردت أن أتكلَّمَ معه، فما التفت إليَّ، فرفعت صوتي مغضَبًا، فقال: أراك مغضبًا؟

فقلت: كيف تُزهِّدُ في الجماعة؟!

وقد ذكر ابنُ رجب في «فتح الباري» (٨/٦): أنَّ هذا الحديث احتجَّ به من يمنع، ثم قال عقِبَه: ومعاوية بْن يَحْيَى، لا يحتج بِهِ.

قال: وذهب أكثر العلماء إلى جواز إعادة الجماعة في المساجد في الجملة كما فعله أَنَس بْن مَالِك، منهم: عَطَاء، وقتادة، ومكحول، وَهُوَ قَوْلُ إِسْحَاق، وأبي يوسف، ومحمد، وداود.

وهذا قولُ الشيخ ابنِ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشرح الممتع» (٤/١٦٢) قال عن حديث أبي سعيد الخدري: وهذا نَصٌّ صريحٌ في إعادةِ الجماعةِ بعدَ الجماعةِ الراتبةِ، حيث نَدَبَ النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام مَن يصلّي مع هذا الرَّجُلِ.

وقول والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كان قد وُجِدَتِ الرغبة في حضور جلسات أهل العلم.

يحكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال الناس في ذلك الزمن، أن رغبتهم كانت قليلة في حضور مجالس العلم.

مرة في الدرس طرح والدي سؤالًا، وقال: عند الأخ الصومالي، ولم يكن كذلك، فغضب الطالب وجعل يردد لماذا نسبه الشيخ إلى الصومال وليس منهم؟

وقد يمر أحيانًا والدي أثناء دخوله وخروجه بالبعض ولا يلقي السلام؛ لانشغال ذهنِه فلم ينتبه.

فيبقى يردد بعضهم: لماذا، ولماذا[1]؟ وهل في نفس الشيخ شيء علي؟

هذا بعض ما يسر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، والله تَعَالَىٰ المستعان، وعليه التُّكلان.

أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له.

تم نشر هذه الرسالة ولله الحمد والمنة.

٢٦/٨/ لعام ١٤٤٥ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.

(١) ولا يدري هذا أن انشغال البال بالأمور المهمة قد تجعلُ الشخص لا يشعر بمن يمر به.

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغَلُهَا ❁ عَنِ الشَّرَابِ وَتُلْهِيهَا عَنِ الزَّادِ

فتنبَّهوا لذلكَ، وتغافلوا، وأحسنوا الظن إذا حصل شيءٌ من التقصير، والله يعفو عن الجميع.